

في يوم ماطر

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

كانت السماء 'مطبقة' على الأرض ، والمطر يسحّ حثيثاً متداركاً يكاد من شدته يقشر القطران ، والماء يسيل على جانبي الطريق ويتدافع ويرتفع له مثل الموج ، وكان أمام نافذتي بوابة عربية وقفت على عتبتها فتاة تنق المطر في ظلّها . وكانت تردى ثوباً مشرقاً بين الحمرة والبياض كأنما استعارت صبغته المزدوجة من الشمس الناربة والقمر الطالع . وكانت فيه كأنها مقطّعة أو مثال فصل الثوب على قده لمرصه على السيون ، فحاسنها كلها مجلوة ، وخطوط قوامها اللين مرسومة ، وقد اجتمع طرفان منه على سرتها وانعقاد على صفة وردة كبيرة ، وتدلّت على مدار خصرها المضمّ ذلاذل تكاد تمس قدميها الدقيقتين ؛ أما صدرها فأطاف به شيء لا أدري ما صفته كان ثدياها الناهدان يدوان من تحته كأنهما في كأسين ، أو كأنهما موجتان متناوحتان حجزتا وحيل بينهما وبين التسرب والانسياب

ولم يكن أفق من منظرها وهي واقفة ترقب انقطاع المطر ، وكان ممي في البيت صاحب يحمل مظلة جميلة غالية ، لانفارق يده في سيف ولا شتاء ، ولا ليل ولا نهار ، فكأنها قطعة منه ، أو امتداد لذراعه ، ففائلته وحماتها ، ومضيت بها الى هذه الفتاة ووضعتها في عينيها ، وارتدّت عنها بلا كلام . فلما أفأقت من دهشتها كنت قد غبت عن عينيها

وآن لصاحبي أن يخرج ، فنظر فلم يجد المظلة ، فتلفت هنا وهناك ثم سألت : «

أترى هذه البوابة ؟ كانت هنا فتاة جميلة تخشى على نفسها وعلى ثيابها من المطر فلم يسعني إلا أتبعها »

فأقول : « أعطيتها لـ »

قلت : « ألم أقل لك إنك ذكي ؟ بل أنت أيضاً ذو مروءة ومجدة وشهامة »

قال : « ولكن مظلتي ؟ كيف أخرج الآن وفي هذا المطر أيضاً ؟ »

قلت : « إنها بلا شك تشكر لك هذا الصنيع الجميل ، فأنت سعيد بذلك ، فليتني كنت صاحبها — أعني المظلة ! »
قال : « ولكن ماذا أصنع ؟ كيف أخرج ؟ إن هذا شيء . . . »
قلت : « يا صاحبي . إن الأيثار حميد ، والأثرة ذميمة »
فقال : « تعطي مظلتي لفتاة ؟ أما إن هذا لغيري ! »

قلت : « يا صاحبي . لو رأيتهما لما قلت « فتاة » بهذه اللجة التي أنكرها ولا أرضى عنها . إنها فتاة رائعة . وإنى لرجل مترن الأعصاب في العادة ، ولكني أرجو أن تتق أنها فتنتني . وإنى لأسف على حرمانك هذه المظلة الثمينة — أو التي كانت ثمينة منذ أربع سنوات — ولكن عليك أن تتعزى بأن التي تحملها الآن أجل فتاة على ظهر هذه الأرض ، وأنت أنت سبب سعادتها في هذه اللحظة ، وأن اسمك سيخلد في التاريخ ، وأنا لو كنت شاعراً لقلت أحياناً أخلد فيها صنيمك الحسن هذا ، وإن أبنائي سيحفون بي كل ليلة ويطلبون أن أقص عليهم كيف فقد صاحبي العظيم مظلته الغالية . . . »

ولم أتم خطبتي لأنه خرج مغضباً ، فأمسكت وحمدت الله !

وحمل إلى البريد رسالة غريبة هذا نصها بعد الديباجة المألوفة :

« إن ما أقرأه لك يحملني على الثقة بأنك لن تخيب رجائي فيك . فهل لك أن تقابلني أتمم باب « جروبي » الساعة السابعة من مساء اليوم ؟ ولا أجرو أن أبدو لك حتى تبدولي ، فإذا صدق ظني فيك فملكك تتفضل بأن تضع في عروتك زهرة من زهور « الأروال » البيضاء ، لأعرفك بها ، وزيادة في الحيلة أرجو أن تقول لي « لا مطر غداً » فأقول لك « لم ولماذا وكيف يكون ذلك » . فلا تنس »

ولم يكن على الرسالة توقيع ، فلم أشك في أنها فتاة مصرية لم تألف أن تدخل « جروبي » وتجلس في حديثه ، ولكنها تسمع باسمه فهي تقف عند بابه ، فما يعقل أن يكون كل هذا الحرص والحذر من رجل ، واطمأنت نفسي بعد أن خلصت إلى هذه النتيجة ، وشكرت الحظ الذي أبعد عني صاحبي قبل أن تردني

قلت : « ثقي بي .. إنني نشرة جوية متنقلة ... مرصد إنساني متجول ... »

قالت : « ظاهر .. أشكرك ... »

قلت : « هذا واجبي ... فلا أستحق شكراً »

قالت : « إنك تؤديه بذمة .. لقد رأيتك الآن تخاطب سيدة هناك ... وهذه أخرى آتية ، فاسمح لي ألا أحول بينك وبين عملك »

قلت : « لم يكذب ظني »

قالت : « كيف ؟ »

قلت : « كنت موقناً أنك أطرف من تلك التي هزئت بي وأخجلتني »

فسألتني : « هل أنت على موعد مع مجهولة ؟ »

قلت : « أصبت ... »

قالت : « مسكين ! .. لعلها هذه » وأشارت فالتفت فإذا فتاتي — أعني الفتاة التي تقضت عليها بمظلة صاحبي ، فقالت : « اخفييني عنها لحظة حتى تمر ... تظاهري بأنك صديقتي دقيقة واحدة .. أرجو »

فضحكت وقالت : « لماذا تخشاهما ؟ هل خنت لها عهداً ؟ لا بأس . تمال »

ووضعت ذراعها في ذراعي وهمتا بأن نسير ، وإذا بفتاتي تصبح ورائي :

« من فضلك ... من فضلك ... ألا تذكرني .. إني مدينة لك بالشكر ، لقد ترصعتني فجأة كما ظهرت لي فجأة ، فلم أدر أين اختفيت ، فهل تسمح لي بإسحك وعنوانك لأعيد اليك المظلة ؟ »

نقلت : « هذا شيء تافه ... لا تفكر في »

قالت : « ولكني لا أستطيع أن أبقها عندي وأحرمك »

قلت : « ثقي أنك لا تحرميني شيئاً فاتها ليست لي ، بل لصاحب »

قالت : « ما أرقه : »

قلت : « إنه على تقيض ذلك .. أبعد ما يكون عن الرقة »

قالت : « هذا أدعى لردّها اليه »

هذه الرسالة ، بدقائقي ، ولو أنه كان مني لأطلعته عليها بلا أدنى ريب ، ولكن المحقق أن يسبقني إلى باب « جروبي » فيطردني بوجوده ، عنه

واشتريت الزهرة المطلوبة ، ووضعتها في العروة ، وأخرجت مندبلاً وظللت أرفع يدي به وهو منشور إلى أنق لأحجب هذه الزهرة عن العيون ، فقد كانت كبيرة وأنا أخجل أن أضع على صدري زهراً ولو كان في حجم الحصاة ، ووقفت يباب جروبي أتأمل الداخلين والداخلات ، والمخرجين والمخارجات ، وأشاور نفسي وأسألها كيف أقدم على خطاب من لا أعرف ؟

ولم يكن ثم بد من الاقدام ، فما اشتريت الزهرة البيضاء الكبيرة وغرستها فوق جبة قلبي لأعرض نفسي على الأنظار ، فتوكلت على الله ، على أني — كما لا أحتاج أن أقول — أهملت المعجزة وتركتهن يرحن ويمجن كما يشأن دون أن أكلف نفسي حتى النظر إليهن ، وأقبلت فتاة رشيقة تتأفف كالتردة فتمنيت أن تكون هي ودنوت منها وقلت :

« مدبرة . واغتنري لي تطفلي ، لا مطر غداً ! »

ف نظرت إلى باسمة وقالت :

« باردون ؟ »

فقلت لنفسى : « ليست بها . وقد غلظت والله ياولد ، فأخرج من هذا المأزق بسرعة » فبالت و سألتها بغير العريية :

« إنما كنت أسأل هل هذا جروبي ؟ »

ف قالت وهي تبتسم : « طبعاً ... الأسم مكتوب ... »

فبلمت ربي وشكرتها وارتدت عنها

وأقبلت أخرى أعذب منها — بلا شك — وأطرف على التحقيق ، وأولى بأن ترؤف بي إذا غلظت فيها ، وكانت تتأمل إعلانات وصوراً لشركة بواخر هناك ، فدعوت الله أن يجعلها من نصيبي ، وأقبلت عليها أقول بلا تعهد :

« لا مطر غداً »

ف قالت بعريية محطمة ، أستحي أن أثبتها بنصها : « شيء »

غريب ! متأكد ؟ »

بين فن التاريخ وفن الحرب

١٠ - خالد بن الوليد *

في حروب الردة

للفريق طه باشا الهاشمي

رئيس أركان الجيش العراقي

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بدني
شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأتنا أموت على فراشي
كما يموت البشير ! فلا ثامت أعين الجناء »
خالد بن الوليد

ملحة خالد

لا شك في أن خالدًا كان يقدر حرج الموقف في قتاله أهل
اليمامة . وكان يعلم أنه مقدم على أمر يتوقف عليه نجاح الإسلام
أو خيبتة . فالبلاد وعرة ، والقرى فيها منيعة ، والناس ملتفون
حول داعيهم ، متصمون بحبهم ، وعددهم كثير ، وسلاحهم يضرب
به الكيل

لذلك لم يقدم على الحركة قبل أن تصله النجدة الموقدة من
الدينة . وأراد أن يمهّد سبيل الغفر بالتدابير السياسية وذلك :

أولاً - باستمالة التميميين في اليمامة إلى جانبه

ثانياً - بتفريق رؤساء سجاح عن مسيلة

ثالثاً - باستخدام المسلمين من بني حنيفة للمشاعبة على مسيلة

والأخبار تدل على أنه أرسل الكتب إلى التميميين ليتركوا

جانب مسيلة فوفق إلى ذلك ، كما أنه ساق قوة خيالة لمقاتلة

رؤساء سجاح الثلاثة وهم عقة وهذيل وزباد ، ففرق رجالهم واضطرم

إلى العودة إلى بني تغلب في الشمال . وأن المسلمين من بني

حنيفة تاروا على مسيلة وشاغبوا عليه ، ولعل عكرمة بن أبي جهل

أراد أن يستفيد من المشاعبين فغافل رجال مسيلة فلم ينتصر ،

وكانت الأخبار تأتي خالدًا وتنبيهه بما في اليمامة

(*) وهو بحث في قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما تعلم غير كاتبه الفاضل
« الرسالة »

قلت : « لقد انتهى الأمر . سرقت مظلمته وأعطيتك إياها ،
وعرف ما كان ، وغضب وشال نفسه وحطها ، ولم يبق هناك
شيء آخر يمكنه أن يصنعه ، فلا تكترني له ولا تفكر في فيه »

قالت بمطف : « مسكين ! »

قلت : « لقد كنت أنا المسكين ، وكانت هذه المظلة تفقأ
عيني كلما رأيتها ، فالآن أمنت ، وفي وسعي أن ألقاه وأنا مطمئن ،
من غير أن يؤذي بصري منظر المظلة »

قالت وهي تضحك : « على كل حال لابد من ردها إليه
ولك وله الشكر »

فكتبت لها الاسم والعنوان ، ولم يفتني أن أحضرها من
مقابلته ، ولم يبق بعد ذلك ما يقال ، فهممت بتوديعها وإذا برجل
همهم يدهنوني وينظر إلى الزهرة التي على صدرى ثم يقول
وهو بفرك كفيه :

« هل سمعتك تقول لا مطر غدًا ! »

فخدت فيه مترددًا ، ثم رفعت يدي إلى الزهرة فأخرجتها
من العروة ورميتها على الأرض ، فلم يهزم وقال :

« لم ولماذا وكيف يكون ذلك ؟ »

فكاد عقلي يطير ، فتناولت ذراعي الفتاتين وأوليت الرجل
ظهري ومضيت بهما عنه ، وما ذاهلتان تنظران إلى ولا تفهمان ،
غير أن هذا لم يمنع الرجل أن يمشي ورائي وهو يصيح :

« لم ولماذا وكيف يكون ذلك ؟ »

فقلت لفتاتي : « لم يبق إلا أن نجري ، فهل تقدران على
ذلك ؟ »

وجرينا مسافة ونحن نضحك ، فلما أمتنا أن يدركنا وقفنا
وقصصت عليهما الخبر ،

فسألتني فتاة المظلة :

« ولكن ماذا يريد منك ؟ »

قلت : « لا أعرف ، ولا أحب أن أعرف . . »

قالت : « ألا يحسن أن تبين ؟ »

قلت : « أتبين ؟ أليس حسبي ما منيت به من خيبة الأمل .
ومع ذلك لقد عوضني الله خيرًا . . . هيا بنا لنستريح . . . »
ابراهيم عبد القادر المازني